وقف مركز مكة العالمي للهدى القرآني
جمعية القلم للدراسات والأبحاث
مؤتمر
هدايات القرآن في بناء الإنسان

عنوان البحث:

قيمة الابتلاء والصبر عليه في قصة سيدتنا مريم عليها السلام

اسم الباحث/ـة

أ.د / ساجدة طه محمود

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه... وبعد:

كانت ولا زالت السيدة مريم – عليها السلام– انموذجاً راقياً في الطهر والصبر على أذى الناس، ابتليت في عفتها، بعد أن رماها بنو إسرائيل بالبهتان والزنا، فقدمت مثالاً يحتذى به في الصبر على هذا البلاء العظيم حتى أتاها الفرج، فأنطق الله وليدها ليبرئ أمه مما رماها به بنو إسرائيل.

كرمها القرآن الكريم بذكر اسمها صريحاً في أحد عشر موضعاً، وتشرفت سورة قرآنية بأن سميت باسمها، من أجل إكبار السيدة وإعظامها، ورفع مقامها وقدرها، فهي سيدة نساء العالمين.

الهدف من الدراسة:

١. التعريف بالسيدة المبتلاة بعفتها مريم الطاهرة – عليها السلام–.

٢. إظهار قيمة البلاء، وكيفية التعامل مع هذه العطية الربانية، وكيفية مواجهة الفتن لا سيما مغريات هذا العصر.

٣. بيان الحكمة الابتلاء، وفضل الصبر على المصائب.

جهود السابقين: بعد البحث والمطالعة وجدت أن موضوع الابتلاء والمحنة قد كتب فيه من قبل الباحثين والمؤلفين، واعترافا لأهل الفضل بفضلهم، أذكر **أبرز هذه الدراسات:**

أ– رسالة الماجستير "سنة الابتلاء في القرآن الكريم" للباحث: رجب نصر موسى الأنس، من جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، للعام ٢٠٠٧م.

ب– بحث "مفهوم الابتلاء في القرآن الكريم" للدكتور نصار أسعد نصار – كلية الشريعة– جامعة دمشق، والبحث نشر في مجلة جامعة دمشق– المجلد (٢٠) العدد الأول– ٢٠٠٤م.

خطة الدراسة:

أنظم عقد الدراسة في **مقدمة، وثلاثة فروع، وخاتمة:**

أولاً: ماهية الابتلاء وحكمته.

ثانياً: نماذج من ابتلاء الأنبياء – عليهم السلام–

ثالثاً: قيمة الابتلاء في قصة السيدة مريم – عليها السلام–.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،

والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله واصحابه أجمعين

أولاً: ماهية الابتلاء وحكمته:

لقد نبه القرآن الكريم إلى القيم الإنسانية والسنن الإلهية ودورها في فهم التاريخ، وعوامل البناء والأمن والاستقرار والتقدم، وعوامل الهدم والخوف والتخلف، على أن هذه السنن مرتبطة بالأمر والنهي، والطاعة والمعصية، والتوحيد والشرك، فالإنسان إذا أتى بالأمر واجتنب النهي، ووقف عند حدود الله، أصاب خير السنة الربانية، إذا أهمل الأمر وخالقه، وارتكب النهي عنه، ووقع في حدود الله، أصاب شر السنة الربانية.

معنى البلاء: البلاء والابتلاء: من الاختبار والامتحان، وهما اسمان "من بَلَوْتُ الرجلَ بَلْواً وبَلاءً وابْتَلَيْته: اخْتَبَرْته" ، قال ابن قتيبة: " أصل البلاء: الاختبار، قال الله جل وعلا: وَابْتَلُوا الْيَتامى حَتَّى إِذا بَلَغُوا النِّكاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً ، أي: اختبروهم". والبلاء يكون في الخير والشر، يقال: "وَبَلَاهُ اللَّهُ بِخَيْرٍ أَوْ شَرٍّ يَبْلُوهُ بَلْوًا وَأَبْلَاهُ بِالْأَلِفِ وَابْتَلَاهُ ابْتِلَاءً بِمَعْنَى امْتَحَنَهُ وَالِاسْمُ بَلَاءٌ"، وإن كان استعمال الابتلاء في الشر والمشقة أغلب، قال ابن عاشور: لما كان

الاختبار يوجب الضجر والتعب سمي بلاء، كأنه يُخلِق النفس، ثم شاع في اختبار الشر لأنه أكثر إعناتا للنفس".

وفي المعجم الوسيط: ابتلاه: جربه وعرفه، والبلاء: الحادث ينزل بالمرء ليختبره[1]، وفي النهاية: "أن الابتلاء يكون في الخير والشر معا من غير فرق بين فعليهما. ومنه قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [2]"[3].

فجوهر وحقيقة الابتلاء أنه من عند الله سبحانه، وإذا شاء ربك ألا يقع لما وقع، ولو اجتمعت الامة على وقوعه، قال تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾[4]،

قال الراغب الاصفهاني: "إنّ اختبار الله تعالى للعباد تارة بالمسار ليشكروا، وتارة بالمضار ليصبروا، فصارت المحنة والمنحة جميعا بلاء، فالمحنة مقتضية للصبر، والمنحة مقتضية للشكر، والقيام بحقوق الصبر أيسر من القيام بحقوق الشكر فصارت المنحة أعظم البلاءين"[5] .

ويتضح مما سبق أن البلاء والابتلاء بمعنى الاختبار والامتحان، وأن البلاء يكون حسناً ويكون سيئاً.

ألفاظ ذات الصلة:

– **المحنة:** الخِبْرة، وَقَدِ امتَحنه، ومَحَنْتُه وامتَحَنْتُه: بِمَنْزِلَةِ خَبَرْتُه وَاخْتَبَرْتُهُ وبَلَوْتُه وابتَلَيْتُه، وامتَحَنتُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ إِذا أَذبتهما لِتَخْتَبِرهُمَا حَتَّى خَلَّصْتَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ ،

---

[1] المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية: ٧١/١

[2] سورة الانبياء، جزء من الآية (٣٥).

[3] النهاية، ابن الأثير: ١٥٥/١.

[4] سورة البقرة، جزء من الآية (٤٩).

[5] تفسير الراغب الأصفهاني: ١٨٥/١.

ومنه قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾[1]، أخلصها للتقوى كما يمتحن الذهب بالنار، فيخرج جيده، ويسقط خبثه[2].

– **الفتنة**: تأتي بمعنى الابتلاء والامتحان والاختبار، يقول ابن منظور: " جِماعُ مَعْنَى الفِتْنة الِابْتِلَاءُ والامْتِحانُ وَالِاخْتِبَارُ، وأَصلها مأْخوذ مِنْ قَوْلِكَ فتَنْتُ الْفِضَّةَ وَالذَّهَبَ إِذا أَذبتهما بِالنَّارِ لِتُمَيِّزَ الرَّدِيءَ مِنَ الجيِّدِ"[3]، قال الطبري: "لأن الفتنة أصلها الاختبار، وإنما يقال: فتنت الذهب بالنار: إذا طبختها بها لتعرف جودتها، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾[4]، ومعنى فتنوهم: عذبوهم بالنار وأحرقوهم"[5].

وفي النهاية لابن الأثير: من الفتنة: "الامتحان والاختبار ... وقد كثر استعمالها فيما أخرجه الاختبار للمكروه، ثم كثر حتى استعمل بمعنى الإثم، والكفر، والقتال، والإحراق، والإزالة، والصرف عن الشيء"[6].

الحكمة من الابتلاء:

١–**تحميص العباد**: البلاء وسيلة للتمييز بين الخبيث والطيب، فإن الله –عزّ وجل– يبتلي عباده ليختبر صدق إيمانهم، ويُميز طيبهم من خبيثهم، فإن كانوا على قدر من الثبات مكنهم الله في أرضهم، وهذا هو حال جميع الأمم في الأرض، قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[7]،

(١) سورة الحجرات، جزء من الآية (٣).
(٢) ينظر: لسان العرب: ٤٠١/١٣ مادة (محن).
(٣) ينظر: لسان العرب: ٣١٧/١٣ مادة (فتن).
(٤) سورة االبروج، جزء من الآية (١٠).
(٥) تفسير الطبري: ٤٠٤/٢٢.
(٦) النهاية، ابن الأثير: ٤١١/٣.
(٧) سورة العنكبوت، الآية (٢).

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[1] "أي: يختبركم بما جرى عليكم، وليميز الخبيث من الطيب، ويظهر أمر المؤمن والمنافق للناس في الأقوال والأفعال"[2]،

فالله تعالى يمحص العباد بالابتلاء، ليفرز بين المؤمن الصابر والمنافق الجازع، قال ابن القيم وهو يذكر الحكم من خسارة معركة أحد: "

فإن المسلمين لما أظهرهم الله على أعدائهم يوم بدر وطار لهم الصيت دخل معهم في الإسلام ظاهرا من ليس معهم فيه باطناً، فاقتضت حكمة الله عز وجل أن سبب لعباده محنة ميزت بين المؤمن والمنافق، فأطلع المنافقون رؤوسهم في هذه الغزوة وتكلموا بما كانوا يكتمونه، وظهرت مخبآتهم وعاد تلويحهم تصريحا، وانقسم الناس إلى كافر ومؤمن ومنافق انقساماً ظاهراً، وعرف المؤمنون أن لهم عدوا في نفس دورهم وهم معهم لا يفارقونهم فاستعدوا لهم وتحرزوا منهم"[3].

٢-**تكفير السيئات ورفع الدرجات**: الابتلاء في الدنيا لتكفير الذنوب حتى يلقى اللَّه وما عليه خطيئة، روي عن الحسن، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " سَاعَاتُ الْأَذَى يُذْهِبْنَ سَاعَاتِ الْخَطَايَا "[4]

وساعات الأذى أي: الأمراض والمصائب التي تعرض للإنسان تكون سبباً في تكفير الخطايا موازنة فهذه بهذه[5]. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى مِنْ مَرَضٍ، فَمَا سِوَاهُ إِلَّا حَطَّ اللهُ بِهِ سَيِّئَاتِهِ، كَمَا

(١) سورة سورة البقرة، جزء من الآية (١٥٤).
(٢) تفسير ابن كثير: ١٤٦/٢.
(٣) زاد المعاد، ابن القيم: ٢٥٦/٣.
(٤) شعب الإيمان، البيهقي: ٣١٩/١٢ (٩٤٥٦) والحديث مرسل، كما نقل المناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير: ٤٩/٢.
(٥) ينظر: التيسير بشرح الجامع الصغير، المناوي: ٥٠/٢.

تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا"[1]، دليل على أن المصائب والأمراض والهموم والأسقام كلها تُحط بها الخطايا، إذا صبر عليها الإنسان واحتسب، كما جاء في الحديث: "... فَمَا يَبْرَحُ البَلَاءُ بِالعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ"[2].

وكما كان الابتلاء لتكفير الذنوب جعله الله تعالى وسيلة لرفع درجات وزيادة حسنات عباده الطائعين، روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: " إن العَبدَ إذا سَبَقَت له من الله عزَّ وجلَّ منزلَةٌ لم يَبلُغْها بعملِه، ابتلاه اللهُ جل وعز في جَسَدِه، أو في مالِه، أو في وَلَدِه –زاد ابنُ نُفَيلٍ: "ثم صَبَّرَه على ذلك" ثم اتفقا– "حتَّى يُبلغَهُ المنزلةَ التي سبقتْ له من الله جل وعز"[3]، والمقصد بالحديث الإعلام بفضل البلاء وأنه مظنة لرفع درجات العبد وإن قل عمل المسلم، قال القاضي عياض: "إن أفعال الله تعالى كلها عدل، وكلماته جميعها صدق ، يبتلي عباده كما قال لهم ﴿لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[4]، و ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[5]، فامتحانه إياهم بضروب المحن زيادة في مكانتهم ورفعة في درجاتهم،

وأسباب لاستخراج حالات الصبر والرضى، والشكر والتسليم، والتوكل والتفويض، والدعاء والتضرع منهم، وتأكيد لبصائرهم في رحمة الممتحنين

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، أو حزن، أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها: ١٩٩١/٤ (٢٥٧١).

[2] أخرجه الترمذي في سننه وصححه، أبواب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في الصبر على البلاء:٦٠١/٤ (٢٣٩٨).

[3] أخرجه أبو داود في سننه، أول كتاب الجنائز، باب إذا كان الرجل يعمل عملاً صالحاً فشغله عنه مرض أو سفر: ٨/٥ (٣٠٩٠)، صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود: ٤٠٨/٨ (٢٧٠٨)

[4] سورة يونس، جزء من الآية (١٤).

[5] سورة هود، جزء من الآية (٧).

والشفقة على المبتلين، وتذكرة لغيرهم وموعظة لسواهم"[١]، وقال ابن القيم عند ذكره للحكم والغايات المحمودة

التي كانت في وقعة أحد: "فهو سبحانه إذا أراد أن يعز عبده ويجبره وينصره، كسره أولاً، ويكون جبره له ونصره على مقدار ذله وانكساره، ومنها: أنه سبحانه هيأ لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته لم تبلغها أعمالهم، ولم يكونوا بالغيها إلا بالبلاء والمحنة، فقيض لهم الأسباب التي توصلهم إليها من ابتلائه وامتحانه"[٢].

٣-**تحقيق العبودية**: من حكم البلاء الذي ينزل بالعبد لتحقيق عبودية أوليائه، وبروز معدن حزبه في أحوال يظهر فيها الإنسان على حقيقته في السراء والضراء، قال ابن القيم: " استخراج عبودية أوليائه وحزبه في السراء والضراء، وفيما يحبون وما يكرهون، وفي حال ظفرهم وظفر أعدائهم بهم، فإذا ثبتوا على الطاعة والعبودية فيما يحبون وما يكرهون فهم عبيده حقا، وليسوا كمن يعبد الله على حرف واحد من السراء والنعمة والعافية"[٣]،

فإن الله تعالى إنما خلق خلقه للابتلاء والامتحان، فيستخرج منهم عبودية السراء وهي الشكر، وعبودية الضراء وهي الصبر، وهذا لا يتم إلا بأن يقلب الله الأحوال على العبد، حتى يتبين صدق عبوديته لله تعالى، وإذا كان المرء مؤمناً حقاً فإن كل أمره خير، فإنه إن كان في سراء شكر فكان خيراً له، وإن كان في ضراء صبر فكان خيراً له، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ"[٤].

---

[١] الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض: ٤٥٤/٢.

[٢] زاد المعاد، ابن القيم: ٢٥٦/٣.

[٣] زاد المعاد، ابن القيم: ٢٥٥/٣.

[٤] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير: ٢٢٩٥/٤ (٢٩٩٩).

٤-**عقوبة للمسلم**: يعاقب المؤمن بالبلاء على بعض الذنوب، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ الْعَبْدَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ، وَلَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلَّا الْبِرُّ"(١)

ثانياً: نماذج من ابتلاء الأنبياء – عليهم السلام–

أراد الله –تعالى– أن يبتلى رسله وكل من يدعو إليه، وجعل ذلك سنة من سننه في خلقه من الأنبياء ومن تبعهم، ولم يختلف أحد أن الأنبياء أشد الناس ابتلاء، فعن مصعب بن سعد، عن أبيه، قال: "قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: "الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ البَلَاءُ بِالعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ"(٢)،

والله عزَّ وجلَّ كما يحمي أنبياءه ورسله ويصونهم ويحفظهم، ويتولاهم وينصرهم، كذلك يبتليهم بما شاء من أذى الكفار لهم، وسخريتهم بهم، كما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم تارة ساحر، وتارة مجنون، وتارة شاعر، وتارة كذاب، وآذوه وسبوه، وشتموه وسخروا منه، وكادوه وحاربوه وكذبوه،

والله تعالى جعل ابتلاءه لعباده من الأنبياء رفعاً لدرجاتهم، وقدوة لمن بعدهم، ولتحذير أتباعهم من تقديسهم حدَّ الألوهية، فهم بشر، ولا يمكن اعتبار الابتلاءات التي يبتليهم الله تعالى بها من باب تكفير ذنوبهم في حق الله، فهم معصومون من الذنوب، وقد وصف ابن القيم هذه الابتلاءات بالكرامة، فظاهرها الابتلاء وباطنها الخير والرحمة، وهي الجسر الموصل بهم إلى النتاجات

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، من حديث ثوبان: ١١١/٣٧ (٢٢٤٣٨) وصحح إسناده المنذري في الترغيب والترهيب: ٢١٣/٣.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه وصححه، أبواب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في الصبر على البلاء:٦٠١/٤ (٢٣٩٨).

العظيمة والنعم الجليلة[١]، وصدق ابن الجوزي حين قال: "أين أنت والطريق سبيل نصب فيه آدم، وناح لأجله نوح، ورمى في النار إبراهيم الخليل، وأضجع للذبح إسماعيل، وبيع يوسف بدراهم، وذهبت من البكاء عين يعقوب، ونشر بالمنشار زكريا، وذبح الحصور يحيى، وضنى بالبلاء أيوب، وزاد على المقدار بكاء داود، وتنغص في الملك عيش سليمان، وهام مع الوحوش عيسى، وعالج الفقر محمد صلى الله عليه وسلم"[٢].

وقد ذكر الله تعالى في كتابه صوراً من الابتلاء الذي تعرض له الأنبياء:

١-ابتلاء ابينا آدم – عليه السلام–:

المتمعن في قصة سيدنا أيوب – عليه السلام– ومحنته في جسده وأهله وولده، وأيما محنة وابتلاء هذا، ولكنه صبر واحتسب وأحسن الظن بربه جلّ في علاه، ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[٣]،

وابتلى الله تعالى نبيه بهذا البلاء الشديد وذلك أن الشيطان تسلط عليه، فكان رجلاً كثير المال من سائر صنوفه، وكان له من الأولاد العديد، فسلب منه ذلك جميعاً، فضاع ماله، وهلك أولاد، وابتلي في جسده فتقرح قروحًا عظيمة، واشتد بلاؤه مدة طويلة، والله تعالى لم يذكر لنا ابتلاؤه بالتفصيل[٤]،

واختلفوا في مدة بلواه، فقيل: فلبث في البلاء ثمانية عشرة سنة،

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "إِنَّ أَيُّوبَ نَبِيَّ اللَّهِ لَبِثَ بِهِ بَلَاؤُهُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً فَرَفَضَهُ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ إِلَّا رَجُلَيْنِ مِنْ إِخْوَانِهِ كَانَا مِنْ أَخَصِّ إِخْوَانِهِ، قَدْ كَانَا يَغْدُوَانِ

---

[١] ينظر: فقه الابتلاء وأقدار الله المؤلمة، أبو فيصل البدراني: ٤٥.

[٢] المدهش، ابن الجوزي: ٢٩١.

[٣] سورة ص، جزء من الآية (٤٤).

[٤] ينظر: قصص الأنبياء، ابن كثير: ٣٦٤/١.

إِلَيْهِ وَيَرُوحَانَ ..."[1] فتوسل إلى الله سبحانه بالإخبار عن نفسه، فإن أيوب – عليه السلام– لم يطلب من الله كشف الضر، ولكن توسل إلى الله بشكوى حاله،قال: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[2]،

فجاءه المدد الرباني فقال عزّ من قائل:

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾[3]، وكشف الضر كان بأن يركض برجله، فتنبع له عين من ماء، فيغتسل منها فيعود صحيح الجسم بإذن الله

﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾[4]،

وعوضه الله الوهاب بأولاد قرّ عينه بهم

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[5]، "ومثلهم معهم فالأقرب أنه تعالى متعه بصحته وبماله وقواه، حتى كثر نسله وصار أهله ضعف ما كان وأضعاف ذلك،

وقال الحسن رحمه الله: المراد بهبة الأهل أنه تعالى أحياهم بعد أن هلكوا"[6]، ذلك الكشف والإيتاء رحمة من الله تعالى.

إن قصة ابتلاء سيدنا أيوب – عليه السلام – بالضراء، وصبره على البلاء في مضمونها تدل دلالة واضحة على أن العقيدة السليمة إذا رسخت في النفس، وحلت في القلب، لا تزحزحها صنوف الشدة والبلاء.

---

[1] أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، ذكر أيوب بن أموص نبي الله المبتلى صلى الله عليه وسلم:٢/٦٣٥ (٤١١٥) قال ابن كثير في تفسيره (٥/٣٦٢): "رفع هذا الحديث غريب جداً.

[2] سورة الأنبياء، الآية: (٨٣).

[3] سورة الأنبياء، الآية: (٨٤).

[4] سورة ص، الآية: (٤٢).

[5] سورة ص، الآية: (٤٣).

[6] ينظر: تفسير الرازي: ٢٦/٣٩٩.

٢-ابتلاء سيدنا إبراهيم – عليه السلام:

لقد ابتلى الله تعالى إبراهيم – عليه السلام – بأنواع من الابتلاءات، ولعل أشد هذه المحن عليه كان في ولده، إذ أمره سبحانه بذبح ولده فكان عبدا طائعاً، ونبياً مذعناً، فاستحق أن يكون أمة بمفرده، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٢٠ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[١]، فلما شبّ إسماعيل – عليه السلام– وأطاق السعي والعمل، رأى والده في المنام أنه يذبحه، فعزم على الانصياع لأمر ربه، لأنه مدرك أن رؤيا الأنبياء وحي ،كما روى ابن عباس[٢]،

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[٣]، وامتثل سيدنا إسماعيل – عليه السلام– لأوامر ربه، فجعل إبراهيم – عليه السلام– وجه ابنه مقابلاً للأرض حتى لا يرى ذبحه، ثإبراهيم.شهد الولد استعداداً للموت، فمرر إبراهيم – عليه السلام– السكين على رقبة إسماعيل – عليه السلام– ولكنها لم تذبحه، فناداه الله تعالى كما قال في كتابه الكريم:

---

[١] سورة النحل، الآية: (١٢٠).

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب وضوء الصبيان ومتى يجب عليهم الغسل والطهور وحضورهم الجماعة والعيدين والجنائز وصفوفهم: ١/١٧١ (٨٥٩) ولفظ الرواية (عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "بِتُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ لَيْلَةً، فَنَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ، قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَوَضَّأَ مِنْ شَنٍّ مُعَلَّقٍ وُضُوءًا خَفِيفًا، يُخَفِّفُهُ عَمْرٌو وَيُقَلِّلُهُ جِدًّا، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، فَقُمْتُ فَتَوَضَّأْتُ نَحْوًا مِمَّا تَوَضَّأَ، ثُمَّ جِئْتُ فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ، فَحَوَّلَنِي فَجَعَلَنِي عَنْ يَمِينِهِ، ثُمَّ صَلَّى مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ اضْطَجَعَ فَنَامَ حَتَّى نَفَخَ، فَأَتَاهُ الْمُنَادِي يَأْذَنُهُ بِالصَّلَاةِ، فَقَامَ مَعَهُ إِلَى الصَّلَاةِ، فَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ." قُلْنَا لِعَمْرٍو: إِنَّ نَاسًا يَقُولُونَ: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَنَامُ عَيْنُهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ؟ قَالَ عَمْرٌو: سَمِعْتُ عُبَيْدَ بْنَ عُمَيْرٍ يَقُولُ: إِنَّ رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ).

[٣] سورة الصافات، الآية: (١٠٢).

﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥﴾[1]، وهنا يكون الابتلاء قد تم، ويكون الاختبار قد وقع، وتكون النتيجة قد ظهرت ويكون إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام قد جاوزا الابتلاء والاختبار الذي ابتلاهما به العزيز الجبارُ جل وعلا، فظهرت العبودية لله، وظهر الاستسلام لأمر الله، فالله جل جلاله لا يريد من عباده إلا العبودية والاستسلام والإذعان، حتى لا يُقدَّمُ العبد في نفسه شيئًا على الله ولا على أمره ولا على نواهيه ولا على حدوده، وهذا بحق هو البلاء العظيم ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٍ﴾ [2]،

وتأمل ما آلت إليه محنته وصبره وبذله نفسه لله، وتأمل كيف آل به بذله لله نفسه ونصره دينه إلى أن اتخذه الله خليلاً لنفسه . . . وضاعف الله له النسل وبارك فيه وكثروا حتى ملؤوا الدنيا، وجعل النبوة والكتاب في ذريته خاصة، وأخرج منهم محمَّداً صلى الله عليه وسلم وأمَره أن يتبع ملة أبيه إبراهيم .

٣- ابتلاء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم:

رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بدعاً من الرسل، فكان لابد أن تجري عليه سنة الابتلاء كما جرت على إخوانه المرسلين، وإذا تأملت سيرة النبي صلى الله عليه وسلم مع قومه وصبره في الله، واحتماله ما لم يحتمله نبي قبله، وأذى الكفار له بسائر أنواع الأذى من القول والفعل والسحر والكذب والافتراء عليه والبهتان، وابتلاء نبينا صلى الله عليه وسلم بدأ من أول يوم من نبوته، قال ورقة بن نوفل: (لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟!" قَالَ: نَعَمْ. لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا.

---

[1] سورة الصافات، الآية: (١٠٥).

[2] سورة الصافات، الآية: (١٠٦– ١٠٧).

ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الْوَحْيُ) (١).

ومن هنا بدأت معاناة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومه وهو يدعوهم إلى توحيد الله تعالى وترك عبادة الأصنام، فما كان منهم إلا بمعاداته واصحابه والاستهزاء به وبدينه، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمٌ يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ وَجَمْعُ قُرَيْشٍ فِي مَجَالِسِهِمْ، إِذْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَى هَذَا الْمُرَائِي، أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى جَزُورِ آلِ فُلَانٍ فَيَعْمِدُ إِلَى فَرْثِهَا وَدَمِهَا وَسَلَاهَا، فَيَجِيءُ بِهِ ثُمَّ يُمْهِلُهُ، حَتَّى إِذَا سَجَدَ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ؟ فَانْبَعَثَ أَشْقَاهُمْ، فَلَمَّا سَجَدَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَثَبَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاجِدًا، فَضَحِكُوا حَتَّى مَالَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ مِنَ الضَّحِكِ، فَانْطَلَقَ مُنْطَلِقٌ إِلَى فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ وَهِيَ جُوَيْرِيَةٌ، فَأَقْبَلَتْ تَسْعَى، وَثَبَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاجِدًا، حَتَّى أَلْقَتْهُ عَنْهُ، وَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَسُبُّهُمْ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةَ قَالَ: اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ. ثُمَّ سَمَّى: اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِعَمْرِو بْنِ هِشَامٍ، وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، وَعُمَارَةَ بْنِ الْوَلِيدِ. قَالَ عَبْدُ اللهِ: فَوَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُهُمْ صَرْعَى يَوْمَ بَدْرٍ، ثُمَّ سُحِبُوا إِلَى الْقَلِيبِ، قَلِيبِ بَدْرٍ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَأُتْبِعَ أَصْحَابُ الْقَلِيبِ لَعْنَةً"(٢)، **قال ابن هبيرة:** " في هذا الحديث ما يدل على شدة صبر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أذى المشركين، وفيه أيضًا ما يدل على أن المؤمن إذا أوذي في الله عز وجل مع قدرته، وتعرض الضعفاء للبغي والعدوان مع شدة قوته

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله: ١/٧ (٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، أبواب سترة المصلي، باب المرأة تطرح عن المصلي شيئا من الأذى: ١/١١٠ (٥٢٠).

يتعجب في ذلك الوقت من حلم الله تعالى حيث يؤتى إلى نبيه صلى الله عليه وسلم وهو ساجد له سبحانه فيستهزأ منه ويوضع سلا الجزور على كتفيه فلو كان قد أطبق السماء على الأرض في ذلك الوقت أو دك كذلك جبال الأرض كلها لكان ذلك بعض جزاء المشركين، ولكنه سبحانه حلم ثم انتقم انتقامًا أهلك فيه أعداءه على كفرهم ليستديم لهم العذاب السرمد أبدًا"(١).

الحكمة من ابتلاء الأنبياء –عليهم السلام:

ابتلاء الأنبياء بالمصائب والشدائد ليس لذنب ارتكبوه، لأنهم معصومون من تعمد الذنوب مطلقا، ولكن تكون البلايا في حقهم لحكم عظيمة منها رفع درجاتهم، أو أن يكونوا أسوة لمن بعدهم من أممهم، أو ألا يغلوا فيهم أتباعهم فيخلعوا عليهم ما هو من خصائص الألوهية، قال النووي: "وفي هذا وقوع الانتقام والابتلاء بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لينالوا جزيل الأجر، ولتعرف أممهم وغيرهم ما أصابهم ويتأسوا بهم"(٢)،

عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: "اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى مَنْ قَتَلَهُ نَبِيٌّ، وَاشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى مَنْ دَمَّى وَجْهَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"(٣)، وقال ابن القيم: "فصل وإذا تأملت حكمته سبحانه فيما ابتلى به عباده وصفوته بما ساقهم به إلى أجلِّ الغايات وأكمل النهايات التي لم يكونوا يعبرون إليها إلا على جسر من الابتلاء والامتحان ... فصورته صورة ابتلاء وامتحان، وباطنه فيه الرحمة والنعمة، فكم لله من نعمة جسيمة ومنَّة عظيمة تُجنى من قطوف الابتلاء والامتحان"(٤).

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة: ٣٣/٢.
(٢) شرح النووي على مسلم: ١٤٨/١٢.
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب ما أصاب النبي صلى الله عليه وسلم من الجراح يوم أحد: ١٠١/٥ (٤٠٧٦).
(٤) مفتاح دار السعادة، ابن قيم الجوزية: ٢٩٩/١.

ثالثاً: قيمة الابتلاء في قصة السيدة مريم – عليها السلام–.

قبل البدء بتعريف السيدة مريم العذراء، أود ذكر الآيات القرآنية التي ورد فيها اسم العذراء صريحاً، في أحد عشر موضعاً، من خلال أربع سور قرآنية:

- سورة آل عمران: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾[1].

- سورة آل عمران: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾[2].

- سورة آل عمران: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾[3].

- سورة آل عمران: ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِي وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾[4].

- سورة آل عمران: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾[5].

- سورة آل عمران: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾[6].

–سورة النساء: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾[7].

–سورة النساء: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ﴾[8].

---

(١) سورة آل عمران، الآية (٣٦).
(٢) سورة آل عمران، الآية (٣٧).
(٣) سورة آل عمران، الآية (٤٢).
(٤) سورة آل عمران، الآية (٤٣).
(٥) سورة آل عمران، الآية (٤٤).
(٦) سورة آل عمران، الآية (٤٥).
(٧) سورة النساء، الآية (١٥٦).
(٨) سورة النساء، جزء من الآية (١٥٦).

-سورة مريم: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦﴾ (١).

-سورة مريم: ﴿فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ٢٧﴾(٢).

-سورة التحريم: ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ١٢﴾(٣).

من هي سيدتنا مريم العذراء؟ الجواب: هي مريم بنت عمران، أسمتها والدتها بهذا الاسم ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾(٤) لأنها نذرتها لخدمة المعبد، فمريم تعني العابدة أو خادمة الرب، والدها عمران بن ماثان بن أسهم بن عافيت من ولد داود النبي من وجهاء بني إسرائيل، وهو غير عمران والد سيدنا موسى – عليه السلام– وبينهما ١٨٠٠ سنة(٥)، ووالدتها هي حنة بنت فاقوز من راهبات بني إسرائيل وأختها اشباع بنت فاقوز كانت تحت زكريّا(٦).

القابها: لقبت بالطاهرة، والعابدة، والعذراء لم يسبق لها الزواج ولم يمسها رجل، ولكنها كانت أماً لنبي من أنبياء الله هو المسيح عيسى بن مريم، ولقبت بالصديقة كرمها الله تعالى وأثنى عليها في القرآن الكريم، والملفت أن سورتين من سور القرآن الكريم كانت تخص سيدتنا مريم، الأولى تحمل اسمها، والثانية تحمل اسم عائلتها، أي سورة آل عمران، في حين لا توجد أي سورة سميت باسم أي امرأة أخرى أو باسم عائلة أحد ما في كل النص القرآني.

ولادتها: ذكر القرآن الكريم ولادة سيدتنا مريم، بدءاً من نفخها في بطن أمها إلى أن وضعتها، فعندما علمت حنَّة بنت فاقوز بحملها اهتمت بمولدها

(١) سورة مريم، الآية (١٦).
(٢) سورة مريم، الآية (٢٧).
(٣) سورة التحريم، الآية (١٢).
(٤) سورة آل عمران، جزء من الآية (٣٦).
(٥) ينظر: تفسير الثعلبي: ٢٥٠/٨.
(٦) ينظر: البدء والتاريخ، مطهر بن طاهر: ١١٩/٣.

ونشأتها الصالحة، فنذرت لربها لأن أنجاها ووضعت ما في بطنها،جعلته محرراً، والمحرر الذي يلزم المحراب فيتفرغ لعبادة الله، ولا يتزوج، وكان لا يحرر إلّا الغلمان، لأنّه لا يصلح لخدمة المذبح والمسجد الجواري لما يصيبهن من الحيض، ووقت الولادة وضعتها انثى[1]، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[2]، فتقبل الله تعالى نذرها، وهيأ للسيدة مريم التربية الصالحة في بيت نبي من أنبياء الله تكفل برعايتها وتربيتها وهو سيدنا زكريا – عليه السلام–، قال تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ﴾[3]، وإنما قدر الله تعالى كون زكريا كافلها لسعادتها، لتقتبس منه علما جما نافعا وعملا صالحا؛ ولأنه كان زوج خالتها كما ذكرنا سابقاً.

كرامات سيدتنا مريم – عليها السلام–:

– لقد اصطفى الله تعالى مريم بنت مريم منذ ولادتها، فطهرها من الرجس والدنس، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[4]، وجعلها خير نساء العالمين بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال: "خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ"[5]، قال النووي: "وأن المراد به جميع نساء الأرض أي كل من بين السماء والأرض من النساء والأظهر أن معناه أن كل واحدة منهما خير نساء الأرض

---

[1] المصدر السابق.

[2] سورة آل عمران، الآية (٣٥– ٣٦).

[3] سورة آل عمران، الآية (٣٧).

[4] سورة آل عمران، الآية (٤٢).

[5] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي صلى الله عليه وسلم خديجة وفضلها رضي الله عنها: ٣٨/٥ (٣٨١٥).

في عصرها"[١].

– كما أعاذها الله وذريتها من الشيطان، وما كان ذلك لغيرها، ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[٢]، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا نَخَسَهُ الشَّيْطَانُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ نَخْسَةِ الشَّيْطَانِ، إِلَّا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ"[٣].

– رزقها الله تعالى من ثمار الجنة، وكفل لها الطعام المتنوع الذي ينبت في غير أوانه ومن دون سعي منها، قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾[٤]، عن مجاهد في قوله:"وجد عندها رزقًا"، قال: فاكهةَ الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف"[٥].

- لم تكن سيدتنا مريم من الأنبياء، وإنما صديقة أنزلها ربها منزلة عظيمة بأن أرسل الله تعالى لها ملائكته ليبشروها بولادة نبيه وعبده عيسى – عليه السلام– قال تعالى: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۖ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ﴾[٦].

محنة سيدتنا مريم – عليها السلام :

ولدت سيدتنا مريم يتيمة، إذ توفي والدها قبل ولادتها، وهذا هو السبب الذي دعا إلى حادثة كفالة زكريا – عليه السلام–لها[٧]، وتعهد نبي الله

---

[١] شرح النووي على مسلم: ١٥/١٩٨.
[٢] سورة آل عمران، الآية (٣٦).
[٣] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام: ٤/١٨٣٨ (٢٣٦٦).
[٤] سورة آل عمران، الآية (٣٧).
[٥] تفسير الطبري: ٦/٣٥٥.
[٦] سورة المائدة، جزء من الآية (٧٥).
[٧] ينظر: تفسير ابن كثير: ٢/٣٥.

بتعليمها أمور دينها، وتفرغت هي للعبادة، فعرفت بين الناس بالصلاح والإيمان والعفة والطهارة.

وبينما سيدتنا مريم معتكفة تتعبد، أوحى الله تعالى لها بأن أرسل ملكاً يبشرها بحملها، قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧﴾[1]، مكانا شرقيا: في شرقيّ المحراب[2]،

والحجاب هو الستر كما فسره ابن عباس، وقال عكرمة: "إن مريم الصديقة كانت تكون في المسجد ما دامت طاهرًا، فإذا حاضت تحولت إلى بيت خالتها، حتى إذا طهرت عادت إلى المسجد، فبينا هي تغتسل من الحيض إذ عرض لها جبريل – عليه السلام – في صورة شاب أمرد وضيء الوجه جعد الشعر سوي الخلق"[3]، وإنما أرسله في صورة البشر لتثبيت مريم – عليها السلام – فيمكنها من استماع كلامه، ولو نزل على صورته التي هو عليها فزعت ونفرت عنه[4]،

ومع ذلك ارتعبت واستعاذت بالله منه، ﴿قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا﴾[5]، فجاءها الردّ سريعاً يخبرها بأنه جبريل رسول من الله تعالى ليبشرها بحملها بعيسى – عليه السلام –، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ١٩ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ٢٠ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا﴾[6]، وجاء في سورة آل عمران: ﴿يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ

---

[1] سورة مريم، الآية (١٦ – ١٧).
[2] ينظر: تفسير االطبري: ١٦٢/١٨.
[3] ينظر: تفسير الثعلبي: ٣٥١/١٧.
[4] المصدر السابق.
[5] سورة مريم، الآية (١٨).
[6] سورة مريم، الآية (١٩ –٢١).

مَرْيَمَ﴾[1]، أي: يولد بغير أب يصير مخلوقاً بكلمة من الله، وهو قوله كن فكان اسمه المسيح عيسى ابن مريم[2]، فأنكرت ذلك سيدتنا مريم متسائلة عن كيفية الحمل بغلام وهي لم يسبق لها الزواج، وما عُرفت بالبغاء والزنا، فكان ذلك تلميحاً بقرب المحنة، وتهمة الناس في عرضها وهي الطاهرة البتول.

﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا﴾[3]، وهنا اشتد البلاء بسيدتنا مريم وعظمت محنتها، بعد أن بدأ الحمل يظهر عليها، والحمل استمر تسعة أشهر، وقيل: ثمانية أشهر، وقال مقاتل: حملت في ساعة ووضعت في ساعة[4]، فخرجت إلى مكان تستتر به من الخلق، عن السدّي، قال: "لما بلغ أن تضع مريم، خرجت إلى جانب المحراب الشرقي منه فأتت أقصاه"[5]،

وأكمل الله تعالى: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾[6]، وعندما حان موعد الولادة استندت إلى جذع النخلة، من شدة الوجع، ورغبت لو أنها ماتت قبل ذلك استحياءً من قومها، فسمع جبريل – عليه السلام – كلامها، فنادها من تحتها، وقيل: المنادي عيسى يطلبها ترفقا بحالها كيلا تحزن ولا تخاف من الآتي[7]، قال تعالى: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾[8]، قيل: المنادي هو سيدنا جبريل – عليه السلام– والسري: هو النهر لأنه يسري فيه الماء، وقيل: إنه كان هناك نهر يابس فأجرى الله تعالى فيه الماء، والدليل على صحة هذا القول أن الله

---

[1] سورة آل عمران، جزء من الآية (٤٥).
[2] ينظر: تفسير السمرقندي: ٢١٣/١.
[3] سورة مريم، الآية (٢٢).
[4] ينظر: التفسير الوسيط، الواحدي: ١٨٠/٣.
[5] ينظر: تفسير الطبري: ١٦٧/١٨.
[6] سورة مريم، الآية (٢٣).
[7] ينظر: تفسير السمعاني: ٢٨٢/٣.
[8] سورة مريم، الآية (٢٤).

تعالى قال: ﴿فكلي واشربي﴾ أي: كلي من الرطب، واشربي من النهر[١]، فقال تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي﴾[٢] وبعد مرور أربعين يوماً من الولادة، حملت وليدها وأتت به قومها، الذين استقبلوها بإنكار واستغراب وهم يؤكدون أن ما فعلته أمراً عظيماً، ظناً منهم أنها أتت الفاحشة وهي بعيدة كل البعد عن ذلك، جهلاً منهم بمكانتها وصلاحها، وهي من نسل الأولياء والصالحين، فقالوا مستنكرين فعلتها ﴿يا أخت هارون﴾ أي: يا شبيهة هارون، قال قتادة: وكان هارون رجلا عابدا في بني إسرائيل، وليس هو هارون أخو موسى، وقيل: كان فاسقاً [٣]، قال تعالى: ﴿فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ٢٧ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا﴾[٤]، فأشارت إليه ليكلموه، وكانت قبلا نذرت ألا تكلم أحداً من البشر، قال ابن مسعود رضي الله عنه: "لما لم تكن لها حجة أشارت إليه ليكون كلامه حجة لها"[٥]،

فجاءها الجواب﴿كيف نكلم من كان في المهد صبيا﴾ ،

فردّ الوليد عيسى نيابة عن والدته، مؤكداً طهارتها وعفتها، ومخبرهم أنه ابنها ومن رحمها، وأنه مبعوث بالنبوة من يوم ولادته[٦]،

قال تعالى: ﴿فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ٢٩ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ٣١ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ٣٢ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ٣٣﴾

---

[١] ينظر: تفسير السمعاني: ٢٨٦/٣.
[٢] سورة مريم، الآية (٢٢).
[٣] ينظر: تفسير السمعاني: ٢٨٨/٣.
[٤] سورة مريم، الآية (٢٧ – ٢٨).
[٥] ينظر: تفسير البغوي: ٢٢٩/٥.
[٦] ينظر: المصدر السابق.

ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ﴾[1].

هذا محمل ما مرت به السيدة العذراء من البلاء من قومها، ويظهر من سيرتها، أهمية التقوى والعبادة والانصياع لإرادة الله سبحانه والتسليم له، والرضا بقضائه وقدره جلَّ وعلا؛ فقد كان إيمانُها وصلاُحها وإخلاصُها سبيلًا لتكون مثالًا يُحتذى ونموذجًا يُقتدى، ولتكون ممن فضلهنَّ الله على نساء العالمين؛ جزاءَ صبرها وتقواها.

[1] سورة مريم، الآية (٢٩ – ٣٤).

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة على سيد الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم، فبعد أن منّ الله عليّ بأنهاء البحث وإتمامه، أضع بين أيديكم أهم النتائج:

١-الله تعالى يبتلي عباده بالسراء والضراء وبالشدة والرخاء، وقد يبتليهم ليعلمْ العبد المؤمن أنه ما من بلاء نزل إلّا بذنب؛ فمن حكمة إنزال البلاء تكفير الخطايا ومحو السيئات، وما ذلك إلا لتعلم أنك عبد ضعيف لا حول لك ولا قوة إلا بربك، فتتوكل عليه التوكل، وتلجأ إليه حق اللجوء، حينما يسقط الجاه والخيلاء، والعجب والغرور والغفلة، وتفهم أنك مسكين وضعيف يلجأ إلى القوي الجبار.

٢-ما تعرض له النبي صلى الله عليه وسلم ومَن سبقه من الرسل لم يك عقوبة ولا مقابل ذنوب فعلوها؛ وإنما ذلك سُنة ماضية من الله تعالى يعقبها رفعة من الله لأوليائه بصبرهم على البلاء، وذلك بنصر رسله وإعزاز دينه وأهله العاملين به الصابرين في البأساء والضراء المجاهدين فيه.

٣-ورد اسم مريم – عليها السلام- مع أسماء عدد من الأنبياء في سورة آل عمران وفي سورة مريم، ولكن ذلك لا يلزم منه أن تكون نبية من الأنبياء، وإن كان الأمر مختلف فيه، فلم يرد ما يدل على نبوتها دلالة واضحة، بل على صديقتها وفضلها.

٤-ظاهر القرآن والأحاديث يقتضي أن مريم أفضل من جميع نساء العالم من حواء إلى آخر امرأة تقوم عليها الساعة، فإن الملائكة قد بلغتها الوحي عن الله عز وجل بالتكليف والإخبار والبشارة كما بلغت سائر الأنبياء.

٥-ابتلاء سيدتنا مريم – عليها السلام- كان في عفتها وعرضها، إذ اتهمها قومها بالفاحشة، وهي العابدة الطاهرة فتوجهت إلى الله تعالى لتبرئتها فاستجاب الله تعالى، لها إذ أنطق وليدها في المهد، فصارت أماً لنبي من أنبياء الله تعالى.

٦-أن البلاء الذي يصيب العبد في الله لا يخرج عن أن يكون في نفسه، أو ماله، أو في عرضه، أو في أهله ومن يحب، والذي في نفسه قد يكون بتلفها تارة، وبتألمها بدون التلف.

المصادر والمراجع:

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: بقية المصادر والمراجع.

١. الإفصاح عن معاني الصحاح – يحيى بن (هُبَيْرَة بن) محمد بن هبيرة الذهلي الشيبانيّ، أبو المظفر، عون الدين (ت ٥٦٠هـ)، المحقق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن،١٤١٧هـ .

٢. البدء والتاريخ– المطهر بن طاهر المقدسي (المتوفى: نحو ٣٥٥ هـ)، أَرنست لرُو الصَحّاف – باريس، ما بين ١٨٩٩ / ١٩١٩ ، مطبعة برطرند في مدينة شالون.

٣. تأويل مشكل القرآن– أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، المحقق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان.

٤. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»– محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.

٥. الترغيب والترهيب من الحديث الشريف– عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين المنذري (ت ٦٥٦ هـ)، المحقق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية — بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ.

٦. تفسير الراغب الأصفهاني– أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ)

٧. جزء ١: المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب – جامعة طنطا، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٨. تفسير القرآن – أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض — السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م.

٩. تفسير القرآن العظيم– أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، المحقق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

١٠. التيسير بشرح الجامع الصغير– زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت ١٠٣١هـ)، مكتبة الإمام الشافعي – الرياض، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
١١. جامع البيان عن تأويل آي القرآن– أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ – ٣١٠هـ)، توزيع: دار التربية والتراث – مكة المكرمة – ص.ب: ٧٧٨٠، بدون تاريخ طبعة.
١٢. زاد المعاد في هدي خير العباد– أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٦٥٩ – ٧٥١)، دار عطاءات العلم (الرياض) – دار ابن حزم (بيروت)، الطبعة: الثالثة، ١٤٤٠ هـ – ٢٠١٩ م (الأولى لدار ابن حزم).
١٣. سنن أبي داود– أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (٢٠٢ – ٢٧٥ هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط – محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩م.
١٤. سنن الترمذي– محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م.
١٥. شرح السنة– محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط–محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.
١٦. شعب الإيمان– أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٣٨٤ – ٤٥٨ هـ، حققه: د عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.
١٧. الشفا بتعريف حقوق المصطفى– عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت ٥٤٤هـ)، دار الفيحاء – عمان، الطبعة: الثانية – ١٤٠٧هـ.
١٨. صحيح البخاري– أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي، تحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني.

١٩. صحيح سنن أبي داود– الشيخ محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠ هـ)، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
٢٠. صحيح مسلم– أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.
٢١. لسان العرب– محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، الثالثة - ١٤١٤هـ.
٢٢. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل– أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧هـ.
٢٣. فقه الابتلاء وأقدار الله المؤلمة– أبو فيصل البدراني، تاريخ النشر بالشاملة: ٢٨ رجب ١٤٣٣.
٢٤. قصص الأنبياء– أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مطبعة دار التأليف – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨م.
٢٥. المدهش– جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، المحقق: الدكتور مروان قباني، دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٢٦. مسند الإمام أحمد بن حنبل– الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١ هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة.
٢٧. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي (ت نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية – بيروت.
٢٨. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي– محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٠هـ)، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٢٩. معاني القرآن– أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت ٢٠٧هـ)، المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة: الأولى.

٣٠. المعجم الوسيط– مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة.
٣١. مفتاح دار السعادة – محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية — بيروت.
٣٢. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير– أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي — بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠هـ.
٣٣. المفردات في غريب القرآن– أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢هـ..
٣٤. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج– أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي — بيروت، الطبعة: الثانية،١٣٩٢.
٣٥. النهاية في غريب الحديث والأثر– مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
٣٦. الوسيط في تفسير القرآن المجيد – أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.